العدد ١٠/٢٠٠٢

الأحد ١٠ آذار

أحد مرفع اللحم

الشهيد كُدراتس ورفقته

اللحن السابع

إنجيل السَحَر السابع

الرسالة

(١ كورنثوس ٨: ٨–١٣؛ ٩: ١–٣)

يا إخوةُ إنَّ الطعامَ لا يُقرِّبُنا إلى الله، لأنَّا إن أكلنا لا نَزيدُ وإن لم نأكُلْ لا نَنْقُص* ولكن انظُروا أن لا يكونَ سلطانُكم هذا مَعثَرَةً للضُعفاءِ* لأنَّهُ إن رآكَ أحدٌ يا مَن لهُ العلمُ متَّكِئًا في بيتِ الأوثانِ أفلا يتَقوَّى ضميرُهُ وهو ضعيفٌ على أكلِ ذبائحِ الأوثان* فيَهلِكَ بسببِ علمِكَ الأخُ الضَعيفُ الذي ماتَ المسيحُ لأجلِه* وهكذا إذ تُخطِئون إلى الإخوةِ وتجرَحون ضمائرَهم وهي ضعيفةٌ إنَّما تُخطِئونَ إلى المسيح* فلذلكَ إن كانَ الطعامُ يُشكِّكُ أخي فلا آكُلُ لحمًا إلى الأبدِ لئَلاَّ أُشكِّكَ أخي* ألستُ أنا رسولاً. ألستُ أنا حرًّا. أمَا رأيتُ يسوعَ المسيحَ ربَّنا. ألستُم أنتم عملي في الربّ* وإن لم أكُنْ رسولاً إلى آخرينَ فإنِّي رسولٌ إليكم. لأنَّ خاتَمَ رسالتي هو أنتم في الربّ.

إنجيل الدينونة

يرد نص الإنجيل الذي نسمعه هذا الأحد، في إنجيل الرسول متى بعد مَثَلي العذارى الحكيمات وأصحاب الوزنات (متى ١:٢٥–٣٠). ففي المَثَل الأول تبرز ضرورة الإستعداد الدائم لاستقبال العريس الآتي، والمَثَل الثاني يظهِّر صورة المحاسبة الشخصية على ما آلت إليه المواهب المعطاة. بهذين المَثَلين أرسى يسوع في أذهان أتباعه فكرة الدينونة، لينتقل إلى الحديث عنها بلغة جديدة لا أمثال فيها ولا تصاوير، بل وصف تفصيلي لليوم المرهوب الذي يعتلن فيه انتصار الرب ومختاريه، وانهزام أعدائه وناكريه.

«ومتى جاء ابن الإنسان في مجده...»: يبدأ السيد بالإعلان عن مجيئه الثاني صراحة، دون تحديد الساعة لأن واجب المؤمن أن يبقى متأهباً، على غرار العذارى الحكيمات، أي في حال من الجهاد المستمر. وابن الإنسان هو الذي سوف يأتي ديّانًا، لأن له أعطي السلطان أن يدين (يو٥:٢٧). المسيح واجه في ناسوته تجارب العالم وتجريحاته وجاز فيها ظافرًا. وجاع وعطش وأُهين ورُذل من الناس وحوكم كالمجرمين، وهو ينبوع كل خير ورحمة وصلاح، الذين نزل من السماء لخلاصهم أماتوه ميتة العار ظلمًا،وهو بقي طائعًا لأبيه حاملاً في جسده تبعات طاعته، فكان له من أبيه السلطان المطلق ليدين. من احتمل جور الناس إلى المنتهى يأتي في اليوم الأخير ليدينهم. لكن المجيء الثاني سيكون في المجد، والسيد يتحدث في إنجيل الدينونة، وقبل آلامه، عن مجده الآتي، ليشدد من عزيمة تلاميذه علّهم عندما يرونه مصلوبًا لا يُحبَطون، بل تبقى أذهانهم مرفوعة نحو المجد الآتي بعد الآلام.

في مجيئه الثاني لن يكون المسيح مختفيًا في البَشَرة التي اقتبل كل ما فيها من ضعف واتّضاع، بل في مجد إلهي عظيم يصعق الأشرار. الذين رذلوه في تواضعه سيرونه في سلطانه، والذين تنكّروا لحلاوة رحمته سيذوقون مرغمين طعم جبروته. الذي خلّص العالم بمجد طاعته، هو نفسه يدين العالم بمجد سلطانه. أما الذين رأوا عظمة الإله في تواضعه، هؤلاء سيكون لهم أن يتمتّعوا بمعاينة المجد الذي اشتهوا على الدوام أن يروه. «إن

يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء» (أع ١:١١).

سوف يأتي الديّان محاطًا بملائكته القدّيسين، لأن هؤلاء الذين نفّذوا بأمانة، أوامر الله الخلاصية في العالم يأتون ليشهدوا بصدق على كل ما كان. في التقليد الآبائي إشارات إلى أن الأبرار الذين خدموا الله في العالم هم أيضًا سيحضرون. نقرأ في الإصحاح الثالث من سفر إشعياء أن «الرب يدخل في المحاكمة مع شيوخ شعبه ورؤسائهم»، والرب يسوع نفسه وعد تلاميذه بأنهم سيجلسون على كراسي القضاء ليدينوا معه (متى ١٩:٢٨). عن هذا يقول الآباء إن الله يُشرك أصفياءه معه في القضاء، بغية إظهار صلاحه الذي يرفع الذين عاشوا بالتواضع والرحمة إلى أعلى المراتب. وتتجلّى رحمة الله في أوضح بيان، عندما يُدان الإنسان بأمثاله: هؤلاء الذين أحبوا الله في العالم وعاشوا بمقتضى هذا الحب، يعرفون ضعفات الإنسان وجهالاته، فيكونون بذلك أكثر ميلاً للرحمة في القضاء، والرحمة خاصةٌ من خصائص القدّوس.

«ويجتمع أمامه جميع الشعوب...»:

بعد أن أرسى السيد في الأمثال صورة المحاسبة الشخصية، يوضح الآن في وصفه ليوم القضاء أن الدينونة ستجري على كل الشعوب بلا استثناء ولا تمييز ولا محاباة. لا شك هنا أن الذين بلغتهم الكلمة سوف يدانون على ما فعلوا بها، لأن الإكتفاء بتلقيها يماثل طمر الوزنة في التراب، فيصير سببًا للإدانة لا للتبرير. أما الذين لم تبلغهم الكلمة، فإذا عملوا من تلقاء ذواتهم ما تأمر به الشريعة، يدلّون على أن ما تأمر به الشريعة من أعمال هو مكتوب في قلوبهم، فتشهد لهم ضمائرهم، إن للشكوى أو للدفاع، على ما يقوله الرسول بولس لأهل رومية (٢:١٤-١٥). يعلمنا الكتاب الإلهي أن المسيح لم يأتِ ليؤسس جماعة، بل ليخلّص كل إنسان أتى إلى العالم أو سوف يأتي. وبما أن الخلاص لا تمييز فيه، بديهي أن لا يكون في الدينونة تمييز.

قد يتخفّى الجداء في العالم بثياب الخراف، أو قد يُظلم خراف في العالم على أنهم جداء. بيد أن النور المنبعث من المسيح الديّان يكشف خفايا القلوب والضمائر فيتميز الأبرار عن الأشرار تلقائيًا. هناك من عاشوا البر في العالم سريًا لا يلتمسون سوى رضى الله، وغيرهم أسخطوا الله في حياتهم ونجحوا في إخفاء قبائحهم عن الناس، حتى اعتادت عليها ضمائرهم. قد تُخفى سرائر القلوب في العالم، لكن يوم الدينونة مملوء بنور المسيح الذي ما أن يسطع على الشعوب حتى يرى الأشرارُ سوادهم، وتلمع في الأبرار بذور الصلاح التي عملوا طوال العمر على إثمارها. هكذا يُفرز الجداء عن الخراف، فلكل منهم صبغته التي اقتناها طوعيًا لذاته.

يقول الآباء إن الرب يسوع، وهو الراعي الأمين، شبّه الأبرار بالخراف نظرًا لما فيهم من وداعة تعلّموها من وداعة السيد وتواضع قلبه، قد تصل بهم إلى الذبح وهم لا يتمرّدون. يضيف الذهبي الفم أن في التشبيه إشارة إلى خصوبة أعمال الأبرار وَجُودِ قلوبهم. فالخراف تعطي أسيادها الصوف واللبن والحملان، بوداعة وبساطة وبراءة، خلافًا للجداء التي تتمرد وتقفز وترفع رأسها ولا يأتي منها خير.

«ثم يقول الملك للذين عن يمينه...»:

يتوجه الملك بالكلام إلى الأبرار أولا لأن البركات هي من طبعه، لا الإنتقام. هؤلاء هم سبب فرحه لأنهم ثمار خلاصه وهو الذي يشاء الكل أن يخلصوا. الأبرار صاروا مباركين

الإنجيل

(متى ٢٥: ٣١-٤٦)

قال الربُّ متى جاءَ ابنُ البشرِ في مجدِهِ وجميعُ الملائكةِ القديسين معهُ فحينئذٍ يجلسُ على عرشِ مجدِهِ* وتجمَعُ إليهِ كلُّ الأُممِ فيميّزُ بعضَهم من بعضٍ كما يميّزُ الراعي الخرافَ من الجداءِ* ويُقيم الخرافَ عن يمينهِ والجداءَ عن يسارهِ* حينئذٍ يقولُ الملكُ للذينَ عن يمينهِ تعالَوْا يا مباركي أبي رِثوا المُلكَ المُعَدَّ لكم منذ إنشاءِ العالم* لأنّي جُعتُ فأطعمتموني وعطِشتُ فسقيتموني وكنتُ غريبًا فآويتموني* وعُريانًا فكسَوْتموني ومريضًا فعُدْتُموني ومحبوسًا فأتيتم إليَّ* حينئذٍ يُجيبهُ الصِدّيقون قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعًا فأطْعَمناك أو عطشانَ فسقيناك* ومتى رأيناك غريبًا فآويناك أو عُريانًا فكسوناك* ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك* فيُجيبُ الملكُ ويقولُ لهم: الحقَّ أقول لكم بما أنَّكم فَعَلتم ذلك بأحد إخوتي هؤلاءِ الصغارِ فبي فعلتموهُ* حينئذٍ يقول أيضًا للذين عن يسارِه اذهبوا عنّي يا ملاعينُ إلى النارِ الأبديَّةِ المُعَدَّةِ لإبليسَ وملائكتهِ* لأنّي جُعتُ فلم تُطعِموني وعطِشتُ فلم

تَسقوني* وكنتُ غريبًا فلم تُؤووني وعُريانًا فلم تَكْسوني ومريضًا ومحبوسًا فلم تَزوروني* حينئذٍ يُجيبونهُ هم أيضًا قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعًا أو عطشانَ أو غريبًا أو عُريانًا أو مريضًا أو محبوسًا ولم نَخْدِمْكَ* حينئذٍ يُجيبهم قائلاً الحقَّ أقولُ لكم بما أنَّكم لم تفعلوا ذلك بأحدِ هؤلاءِ الصغار فبي لم تفعلوهُ* فيذهبُ هؤلاءِ إلى العذابِ الأبديّ والصِدّيقونَ إلى الحياةِ الأبديَّة.

تأمل

يتوجّه كلامُ الرسول بولس ليس فقط لأبناء عصره بل لنا اليوم نحن أيضًا الذين نزدري في كثير من الأحيان خلاص إخوتنا الضعفاء، لأننا كثيرًا ما لا نكترث بما نقول أو بما نأكل، إن كان فلان يتعثّر من كلامي، إن كان آخر من الإخوة يفقد خلاصه. هذا التصرّف يشبه قساوة أولئك الأقوياء الذين يخاطبهم الرسول. إن كان هذا التصرّف يشكّل عثرةً للإخوة الضعفاء في ذلك العصر، فماذا نقول عن تصرّفنا اليوم، الذي يشكّل عثرة حتى للأقوياء؟

من الآب السماوي بفضل التصاقهم بابنه الحبيب الذي به سُرَّ منذ الأزل، والإبن ينقل إليهم بركة الآب لأنّ مَنْ قَبِلَ الإبن يقبل الآب، ومن أحب الإبن يحبه الآب. عندئذٍ يدعوهم الإبن، وقد آن لهم الأوان، إلى أن يرثوا مُلك أبيه، هذا الآب الذي أعطى ابنه الوحيد كل سلطان على الإرث الذي هو في الأصل له. دعوة الالتزام بالبر والقداسة مفتوحة للكل من الآب منذ الأزل، وكان جزاء هذا الإلتزام أيضًا مهيَّأً قبل إنشاء العالم، للذين يقبلون دعوة الآب السماوي ويقبلون محبّته وخلاصه. تجدر الإشارة هنا إلى أن الميراث يعطى في ملئه للمختارين، أي الذين اختاروا الله، فيصبحون عن حق شركاء الإبن في ميراث أبيه، متحدين بالنعمة بمن هو ابن الله بالجوهر.

«أني جعت فأطعمتموني...»: هنا ينتقل السيد إلى تفصيل الأسباب التي جلبت للأبرار كل هذه الكرامة والمجد. فالذين أحبّوه في العالم، وعلى حدّ قوله، أسدوا إليه خدمات يراها كبيرة إلى حد أنه يتذكرها لهم في يوم القضاء، وعلى أساسها فقط يدانون، ولا يسألهم عن شيء سواها. بيد أن الأبرار، وبسبب التواضع المتجذر فيهم، يهالهم هذا الشرف العظيم وكأنهم لا يستطيعون حتى قبوله. من كان الصلاح في قلبه يصنعه في كل وقت غير سائل عن جزاء. إزاء حيرة المتواضعين يأتي كلام السيد ليوضح مفهوم أعمال الخير والرحمة الواجبة على من أحب المسيح. المسيح، المنزَّه عن كل ألم وضعف وحاجة، حاضر فعليًا في المسكين والضعيف والمقهور والمرذول. هؤلاء هم الصغار الذين يقول عنهم الرب في موضع آخر أن ملائكتهم في السماء تعاين على الدوام وجه الآب السماوي. المسيح المنزّه عن الألم، بتبنّيه إيانا في جسده، يتألم كلما تألم عضو من أعضائه، وهذا من فيض رحمته التي لا تُحدّ. ألم يقل لشاول الذاهب لاضطهاد المسيحيين «أنا يسوع الذي أنت تضطهده» (أع٩:٥)؟ المسيح لا يحتاج منا إلى شيء، ومحبتنا له لا معنى لها إن لم تُمارَس، والمتألمون في العالم ميدان ممارستها الوحيد. كلام الرب عن هذا الأمر جازم لا يحتمل التأويل.

تعلّمنا الكنيسة أن أعمال الرحمة التي عدّدها يسوع ينبغي أن لا تنحصر في إطارها المادي، وإلا كانت شفقة إنفعالية لا تؤدي إلى البنيان. عمل الرحمة يؤتي ثماره فقط إن كان موجهًا نحو الإشتراك في عمل المسيح الخلاصي في العالم. فإشباع جوع البطن جيد، لكن إشباع النفوس الجائعة إلى البر، ومداواة جراح العالم بكلمة الخلاص، وكسوة العراة من الفضيلة بما يستر عريهم الروحي هي الأعمال التي تفتح لنا أبواب الملكوت. هذا لا يعني أن الأعمال المادية لا ثواب عليها، لكن وكما أن جراح الروح أكثر إيلامًا من جراح الجسد، فإن بنيان النفوس لملاقاة المسيح أكبر ثوابًا.

«ثم يقول أيضا للذين عن اليسار...»: ذوو اليمين هم مباركو الآب، أما ذوو اليسار فهم فقط ملاعين. ذلك أن الآب لا تصدر عنه لعنة، بل بركات وحسب. أما اللعنات فهي من صنع من سقطت عليهم، وكأننا بالشر في يوم الحساب يأكل نفسه بنفسه. أهل اليسار أيضًا يعترضون على حيثيات الحكم الصادر عليهم، ولكن لا

تواضعًا كأهل اليمين بل تهربًا من حمل تبعات قلوبهم المظلمة. في تأمله لهذه الآيات يشير الذهبي الفم إلى أنهم لم يفعلوا بالأعذار سوى تثقيل خطاياهم، فهم لم يتوانوا في واحد من أعمال الرحمة بل في كلّها، حتى تلك الأبسط كعيادة المرضى وزيارة المسجونين. لم يطلب إليهم الرب أن يشفوا المرضى أو أن يحرّروا الأسرى، إنما فقط أن يؤاسوهم في شدتهم. كل الظروف تجتمع ضدهم: سهولة المطلوب، رحمة الطالب وطول أناته، والشفقة الطبيعية إزاء ألم الآخر. الرحمة يصنعها الإنسان مع الإنسان، ولكن الله هو من يقتبلها. من لا يودع في حسابه أعمالاً يجد نفسه يوم الحساب بلا رصيد.

«فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبدي...»: رحمة الرب لا حد لها، والفداء الحاصل في تجسد ابن الله واقتباله الآلام طوعًا خير دليل. المؤمن يحيا هذه الحقيقة لأنه لا ييأس من خلاصه مهما سقط. بيد أن القول بأن عذاب الأشرار ليس أبديًا هو بحسب الآباء من الشيطان الذي يوهم بهذا الشك الخاطئين ليبقوا في خطاياهم، علّهم يستخفون بالدينونة فلا يخلصون. إن لم يكن العذاب أبديًا، فتنعّم الأبرار بالملكوت له نهاية أيضًا، والرب نفسه أسبغ بوضوح صفة الأبدية على الحالتين. الذين اختاروا الخطيئة ناموسًا لحياتهم، ونبذوا فرص الخلاص الكثيرة، يسلكون طريقًا رسموها لأنفسهم تُبعد عن الله، فيصبح الله القادر على كل شيء عاجزًا عن ردّهم إليه بعدما استنفدوا ما لهم من حرية اختيار. النار المعدة لإبليس وملائكته هي المكان الطبيعي أيضًا للذين اختاروا إبليس وأعماله وهم بعد في العالم. دوام العذاب إذًا ليس من صنع الله بل من صنع الذين اختاروا للشر الدوام، فيكون لهم كما في هذا الدهر، كذلك في الدهر الآتي.

محاضرات

بمناسبة الصوم الأربعيني المقدَّس تنظم رعية كنيسة القديس نيقولاوس – الأشرفية سلسلة محاضرات تُقام في الكنيسة كل يوم خميس من أسابيع الصوم المبارك، بعد صلاة النوم الكبرى في تمام الساعة السادسة مساءً وحسب الترتيب التالي:

+ الخميس ٢١ آذار ٢٠٠٢

«التربية والإعلام» لسيادة المتروبوليت الياس (عوده)

+ الخميس ٢٨ آذار ٢٠٠٢

«حول الصليب والقيامة» لسيادة المطران بولس (بندلي)

+ الخميس ٤ نيسان ٢٠٠٢

«المسيح الدجّال» لقدس الارشمندريت توما (بيطار)

+ الخميس ١١ نيسان ٢٠٠٢

«كنت جائعًا فأطعمتموني – سرّ القريب» لقدس الارشمندريت افرام (كرياكوس)

+ الخميس ١٨ نيسان ٢٠٠٢

«مفهوم الوحدة: وحدة الكنائس أم المسيحيين» لقدس الأب بولس (وهبه)

+ الخميس ٢٥ نيسان ٢٠٠٢

«ما هي الرسولية» لسيادة المتروبوليت الياس (عوده)

عندما نقتل ونسرق ونتكبّر ونتنعّم ونعامل إخوتنا الأحرار مثل عبيد، كيف لا نعثر الآخرين بذلك؟ لا تقل إن هذا صانع أحذية، والآخر صبّاغ، والآخر نحّاس، بل أنظر إليه كأخ مؤمن. نحن تلاميذ أولئك الصيّادين،العشّارين، العاملين في الخيم، تلاميذ ذاك الذي تربّى في بيت نجّار، ذاك الذي وُضع في مغارة ملفوفاً بالأقمطة ولم يكن له ما يسند إليه رأسه، ذاك الذي تعب من كثرة المسير وكان الآخرون يُطعمونه.

لا تعتبر أبدًا العظمة البشرية مقياسًا. لا تحترم فقط ذاك الذي يسير في عربات كبيرة، الذي له خدم كثر. لقد صدق القول إن الأخ الحقيقي هو الذي يشبه المسيح أكثر... مَن الذي يشبه الصيّادين أكثر؟ أليس الذي يعيش من عمل يده اليومي، الذي لا يملك عبدًا في بيته وهو مصلوب عن كلّ شيء، أم هو ذاك المتكبّر والذي يخالف وصايا الله؟ لا تزدرِ إذًا أخاك الحقيقي الضعيف لأنه أقرب إلى صورة الرسل.

القديس

يوحنا الذهبي الفم